(المجلس الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم لا عِلم لنا إلا ما علمتنا، اللهم علمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا.

وبعد..

أيها الإخوة الكِرام.. إن موضوع: [**الذكر والدعاء**] من أشرف الموضوعات وأجلِّها؛ لأن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ودعائه خير أمرٍ تُصرف فيه الأوقات، وتُمرُّ فيه الأزمان والأنفاس؛ فهو أشرف الأعمال وأزكاها وأحبها إلى الله جَلَّوَعَلَا، وكل مُسلمٍ يُدرك مكانة الذكر والدعاء من دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فالذكر يُصاحب المسلم الصادق في كل أوقاته، وفي جميع أعماله، وفي عباداته كلها؛ لأن روح العبادة ذكر الله جَلَّوَعَلَا، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه، من الآية:١٤].

والعلماء رَحِمَهُمُٱللَّهُ كتبوا قديمًا وحديثًا في الذكر والدعاء كتاباتٍ نافعة، مطوَّلةٍ ومختصرة، منهم المُسهب ومنهم المختصر في جمع ما يُهم المسلم في هذا الباب الشريف والموضوع العظيم: ذكر الله جَلَّوَعَلَا ودعائه.

ومن الكتابات المختصرة النافعة الجامعة المفيدة المبنية على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كتاب [**تُحفة الأخيار**] في بيان جُملةٍ من الأذكار من صحيح السُّنة ومن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من جمع الإمام العلَّامة الشيخ عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُٱللَّهُ وغفر له-، وهو ك تابٌ قيم للغاية في بابه، بناه رَحِمَهُٱللَّهُ على الأدلة الصحيحة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-.

وقد راعى فيه رَحِمَهُٱللَّهُ الاختصار، وعدم الإطالة، والاقتصار على بعض الأدلة في الباب الذي قصد بيانه.

وبدأ بمقدمةٍ نافعة ذكر فيها جُملةً طيبةً من أدلة القرآن الكريم، وأدلة السُّنة النبوية الدَّالة على فضل الذكر والدعاء، وعِظم شأنه ورفيع مكانته عند الله، وما يترتب عليه في الدنيا والآخرة من الثمار اليانعة، والأُكل المستمر، والخير الدائم في الدنيا والآخرة.

وسنبدأ مستعينين بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سائلينه العون والتوفيق والتسديد بقراءةٍ في هذا الكتاب المُبارك كتاب **[تحفة الأخيار]** للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأُعلِّق على هذا الكتاب بما يسره الله عَزَّوَجَلَّ.

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم.. والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الشرح:

هذه المقدمة أو الاستهلال الذي بدأ به المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعرف بخطبة الحاجة، وقد ثبتت به السُّنة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء عنه الحثُّ على هذه الخُطبة والترغيب فيها، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقولها بين يدي حاجته وفي خُطبه -صلوات الله وسلامه عليه-.

وهي خُطبةٌ جامعة لأبواب الخير، بل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الخُطبة يقول: "هي عِقْدُ نظام الإيمان والإسلام"، أي أنها جامعة لأصول الإيمان وحقائق الإسلام، وجامعة لأبواب الخير، وأصول السعادة، فهي خُطبة مباركة، واستهلالٌ عظيم، جمع أصولًا عظيمة وقواعد متينة، وتأصيلاتٍ نافعة، ولها أثرها المُبارك على المسلم عندما يستهل بها كلامه، لاسيما إذا كان يقولها متأملًا معناها، محققًا دلالتها من طلب العون والاستعانة والهداية والتوفيق وطلب الغفران إلى غير ذلك من المعاني الجامعة العظيمة التي اشتملت عليها هذه الخطبة.

بُدأت بحمد الله عَزَّوَجَلَّ: **(الحمد لله نحمده)**؛ بُدأت بحمد الله، والحمدُ هو الثناء على الله جَلَّوَعَلَا مع حبِّه سبحانه، الحمدُ هو الثناء مع الحب للممدوح، وهو شاملٌ لكل المحامد بجميع أنواعها و**(ال)** في قوله: **(الحمد لله)**؛ للاستغراق، والله جَلَّوَعَلَا يُحمد على أسماءه وصفاته، ويُحمد جَلَّوَعَلَا على نعمه وآلائه ومننه وعطاياه، فهو المحمود -سبحانه- على جلاله وجماله وكماله وعظمته، والمحمود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عطاياه العظيمة ومننه الكبيرة التي لا تُعد ولا تُحصى.

قوله: (**ونستعينه**)؛ أي: نطلب منه العون، كقوله سبحانه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:٥]؛ أي: نطلب منك العون ولا نطلبه من غيرك.

وطلب العون هنا لتحقيق مصالح العبد الدينية والدنيوية؛ فالعبد مُفتقرٌ في كل مصالحه الدينية والدنيوية على عون الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يرتجزون ويقولون: لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا، ويقول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لمعاذ بن جبل: «**لا تَدَعَنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، فقوله: (**ونستعينه**)؛ أي: نطلب منه العون وحده في تحقيق مصالحنا وأمورنا وأعمالنا وقرباتنا وطاعاتنا، فكل ذلك لا سبيل إلى تحقيق شيءٍ منه إلَّا بعون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وقوله: (**ونستغفره**)؛ أي: نطلب منه سبحانه أن يغفر زلاتنا، وخطايانا، وتقصيرنا، والمغفرة هي العفو وستر الذنوب، والصفح عنها، والتجاوز عن العبد في تقصيره، أو في وقوعه في الذنب، قال: (**ونستغفره**)؛ أي: نطلب منه أن يغفر ما كان منا من تقصيرٍ، أو ما وقعنا فيه من ذنب.

(**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**)؛ ولاحظ هُنا الجمع بين الاستغفار والاستعاذة من شرور النفس، الاستغفار هو طلب الغفران مما مضى من الذنوب، ومما حصل من العبد من التقصير، وقوله: (**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**)؛ هذا يتعلق بالمستقبل، فإذًا لاحظ هُنا! أن قوله: (**نستغفره**)؛ يتعلق بما مضى، وقوله: (**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**)؛ يتعلق بالأشياء التي يقدم عليها العبد؛ فيتعوذ العبد من شرور نفسه، أي: الشر الذي تُهيجه نفسه إليه، وتدفعه نفسه إليه، والنفس فيها شر، وأمَّارة بالسوء، والعبد يحتاج دائمًا وأبدًا إلى الاستعاذة بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من شر نفسه.

قوله: (**نستغفره**)؛ يتعلق بالماضي، وقوله: (**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**)؛ يتعلق بالمستقبل وبما هو قادمٌ عليه العبد يُفوض أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، مستعيذًا به، ملتجئًا إليه أن يحميه، وأن يقيه، وأن يُعيذه من شر نفسه.

قال: (**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**)؛ في الجمع بين شرور النفس وسيئات الأعمال جمعٌ بين أساس العمل وأثر العمل، جمعٌ بين أساس العمل أو منبع العمل وبين الأثر والنتيجة. فالشرُّ له منبع وله نتيجة، منبعه -أو من منابعه- شر النفس، النفس لها شر تدفع العبد إلى فعل الشر، وتُحرِّك فيه الشر، والنتيجة لشر النفس -إن وُجد- هو سيئات الأعمال، أي العقوبات التي ينالها العبد على أعماله السيئة، وأعماله القبيحة؛ فهُنا جمعٌ بين منبع الشر ونتيجته وأثره.

مثله ما جاء في الدعاء الذي علَّمه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأبي بكر الصديق أن يقوله في الصباح وفي المساء وعند النوم، قال: «**تَقُولُ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّموَاتِ والأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَلِيْكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ**»، فجمع بين المنبع وبين الثمرة والأثر والنتيجة.

قال: (**ومن سيئات أعمالنا**)؛ أي: ونعوذ بالله من سيئات أعمالنا.

قيل في سيئات الأعمال: أي عقوبات الأعمال التي هي نتيجةٌ العمل السيء الذي قام به العبد، وقيل: سيئات الأعمال: أي الأعمال السيئة نفسها التي تترتب عليها العقوبات الدنيوية والأخروية.

قال: (**من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له**)؛ وهذا فيه الإيمان بالقدر الذي هو نظام التوحيد، كما قال ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر؛ فقد نقض تكذيبه توحيده، فقوله: (**من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له**)؛ فيه إيمان العبد بأن الأمور كلها بقدر الله، وأن الهداية بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٨]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فما يكون من العبد من هدايةٍ أو ضلال، أو إيمانٍ أو كُفر، أو صلاحٍ أو ضده؛ فكل ذلك بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة التكوير، من الآية:٢٩]؛ فهنا إيمان العبد بالله، وهذا الإيمان يُحقق قوة الصلة بالله، وقوة الاعتماد عليه في طلب الهداية والوقاية من الضلال، وقد كان أكثر دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما تقول ذلك أم سلمة: «**يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ**»، قالت: قلت يا رسول الله أو إن القلوب لتتقلب؟! قال: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلاَّ وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءَ، فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ أَزَاغَهُ**».

قال: (**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**)؛ وهذا الشهادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالوحدانية، (**أشهد أن لا إله إلا الله**)؛ ومعنى: لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله فهذه كلمة التوحيد، وهي قائمةٌ على ركنين: لا توحيد إلا بهما: النفي والإثبات.

النفي العام في أولها، والإثبات الخاص في آخرها.

نفي العبودية عن كل من سوى الله، وإثبات العبودية بكل معانيها لله وحده جَلَّ وَعَلَا.

فـ(**لا إله إلا الله**) هي كلمة التوحيد، وهي قائمةٌ على الإثبات والنفي، ولما كان هذا المقام -مقام التوحيد القائم على الإثبات والنفي- مقامًا عظيمًا أُكِّد هُنا وفي جملة من الأذكار المأثورة بقوله: (**وحده لا شريك له**)؛ فإن قوله: (**وحده**)؛ فيه تأكيدٌ للإثبات، وقوله: (**لا شريك له**)؛ فيه تأكيدٌ للنفي.

و(**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**)؛ أي: أشهد أن الله جَلَّ وَعَلَا هو المعبود بحقٍّ، ولا معبود بحقٍّ سواه، ويُفترض في هذه الشهادة أن تكون صادرةً من العبد عن علمٍ وعملٍ وصدق.

- فإذا صدرت عن علم يخرج بذلك من طريقة النصارى الذي يعملون ولا يعلمون.
- وبالعمل يخرج عن طريقة اليهود الذين يعلمون ولا يعملون.
- وبالصدق يخرج عن طريقة المنافقين الذين يُظهرون ما لا يُبطنون.

فلا بد من العلم والعمل والصدق في قول العبد لهذه الكلمة العظيمة المباركة: (**لا إله إلا الله**).

قال: (**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ وهذا فيه الشهادة له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء، من الآية:٦٤]؛ وعليه فالشهادة له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة تعني طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بهذه الأمور الثلاثة:

- جاء بالأوامر.
- وجاء بالنواهي.
- وجاء بالأخبار.

فمن شهد أنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزِمه أن يُطيعه في أوامره، وأن ينتهي عن نواهيه، وأن يُصدِّقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما يُخبر به.

قال: (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ والصلاة من المؤمنين والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاء، دعاءٌ له -صلوات الله وسلامه عليه-.

وصلاة الله جَلَّوَعَلَا على رسوله هي ثناؤه عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الملأ الأعلى، قال: (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)؛ والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من القربات الفاضلة، والأعمال المباركة، والطاعات الجليلة التي يُحبها الله جَلَّوَعَلَا، وتتأكد هذه الصلاة والسلام عند ذكره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ليلة الجمعة ويومها كما ثبت عنه بذلك الحديث -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال: (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين**)؛ وهذا فيه الصلاة على الصحب والآل والأتباع بإحسان، والصلاة على الصحب والآل والأتباع بالإحسان سائغة إذا كانت تبعًا، أما ابتداءً فإنه ترضَّى عن الصحابة، ويترحم على التابعين، ويستغفر لهم، ويُدعا لهم، وأما الصلاة والسلام فإنها للرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتكون لغيره من الصحابة والآل والأتباع بإحسان إلى يوم الدين على سبيل التبعية للرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

نُلاحظ هُنا في الاستعانة والاستغفار والاستعاذة ذكرها بالنون -نون الجمع- قال: (**نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**)، ولما ذكر الشهادة ذكرها بالإفراد، قال: (**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**)؛ قال العلماء في وجه ذلك قالوا: لأن الاستعانة والاستغفار والاستعاذة هذه يتحملها الإنسان عن غيره وتقبل النيابة، تستغفر لك ولإخوانك، تطلب العون من الله لك ولإخوانك، تطلب العوذ من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لك ولإخوانك، اللهم أعذني وذريتي، اللهم اغفر لي ولوالدي، اللهم أعني وإخواني المسلمين، اللهم أعن إخواننا المسلمين، هذا الشيء يقبل النيابة ويتحمله الواحد عن نفسه وعن إخوانه.

أما الشهادة فلا تكون إلا من الإنسان يُخبر بها عن نفسه، ويشهد بها عن نفسه ولا تقبل النيابة، ولهذا فالشهادة لله بالوحدانية وللنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بالرسالة جاءت بالإفراد، وأما الاستعانة والاستغفار والاستعاذة جاءت على وجه الجمع.

ثم إن هذه الخطبة المباركة كما هو واضح منها شاملة على معاني عظيمة، ودلالات مباركة وهي تُقوي الإيمان والثقة بالله، وحُسن التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، وطلب العون منه، والهداية، ولهذا يحسن جدًا أن يؤتى بها بين يدي الخُطب على وجه الاستحباب، يجوز للإنسان أن يأتي بغيرها من المحامد والثناء على الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، لكن هذا الخُطبة جامعة، جامعة لمعاني عظيمة، وأصولٍ مباركة، وجامعة مثل ما ذكر شيخ الإسلام جمعت أمور الإسلام وأمور الإيمان؛ فهي عِقدُ نظام الإسلام والإيمان، جمعت الخير كله.

ولهذا من يتأمل هذه الخُطبة تأملًا دقيقًا ويفهم معانيها تؤثر فيه تأثيرًا بالغًا، حتى إن هذه الخُطبة كانت سببًا في إسلام أحد أهل الجاهلية بل وإسلام قومه معه، هذه الخُطبة نفسها كانت سببًا لإسلام أحد رجالات أهل الجاهلية وإسلام قومه معه، لما سمع هذه الخُطبة طلب إعادتها مرةً وثانيةً وثالثة، فبهرته، وأثَّرت فيه تأثيرًا بالغًا، وكانت سبب إسلامه على الفور، والقوم أهل لسان عربي ويفهمون المعاني، ويعرفون الدلالات؛ فكانت سبب إسلام أحد رجال الجاهلية، ودخوله في الإسلام ودخول قومه معه.

وذلك ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قدم ضماد وهو ضماد الأزدي من أزد شنوءة، قال: قدم مكة، فسمع نفرًا من الجاهلية ومن كفار قريش سمعهم يقولون: إن محمدًا مجنون، سمعهم يرددون هذه المقالة -وكان ضماد راقيًا يرقي الناس- يقول: وكُنت أرقي من هذه الأرواح يعني كما ذكر بعض الشُّرَّاح يعني يرقي من الشياطين ومن الجن ومن المس.

قال: وكنت أرقي من هذه الريح، وفي بعض الروايات: كنت أرقي من هذه الأرواح، يعني التي تمس الناس ثم يُصابون بالخبل وبالجنون وبالتصرفات الجنونية الطائشة.

يقول: فكنت أرقي من هذه الريح، فلما سمع هذا الكلام قلت: إن رأيت هذا الرجل -يعني محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لعل الله يشفيه على يدي؛ لأنه يقول: سمعهم يرددون: أن محمدًا مجنون، أن محمدًا مجنون، وهو رجل راقي يرقي من هذه الريح، فلما سمع هذه الكلمة قال: إن رأيت هذا الرجل فلعل الله يشفيه على يدي. يعني عزم أن يرقي النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ إذا رآه لعله يُشفى من الجنون الذي أصابه فيما يدعيه سفهاء قريش وكفار قريش.

يقول: فلقيته، لقي النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فماذا قال له: قال: إنني أرقي من هذه الريح -يقول للنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، قال: إنني أرقي من هذه الريح، وإن الله عَزَّوَجَلَّ شفا على يديَّ من شاء من الناس، فهل لك في ذلك؟

لاحظ أسلوب العرض الآن؟! إنني أرقي -هو سمع الآن من أولئك أنه مجنون وعرض عليه هذا العرض-، قال: إنني أرقي من هذه الريح وإن الله شفا على يديَّ من شاء من الناس، فهل لك يعني: هل لك أن أرقيك؟! مثل ما رقيت أُناسًا وشُفوا على يدي، أو كتب الله لهم الشفاء على يدي، هل لك أن أرقيك؟! فماذا قال النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ماذا قال؟

قال: «**الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، أَمَّا بَعْدُ..**». فقال الرجل: أعد عليَّ كلامك هذا، فأعاد عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الكلام ثلاث مرات، وهو يستمع، وهو نفسه طلب الإعادة؛ لأن الكلام شده جدًا وأثر فيه، وطلب الإعادة قال: أعد علي كلامك هذا، فأعاده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه ثلاث مرات، أعاده عليه ثلاث مرات.

فقال الرجل: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، وما هذا من قولهم، ولقد بلغت بكلامك هذا ناعوس البحر، وفي رواية: قاموس البحر -يعني قعره-، لاحظ فهم الرجل، ولقد بلغت في كلامك هذا قاموس البحر، يعني وصلت إلى قعر البحر، يعني وصلت إلى الصميم، وصلت إلى الغاية، وهذا كلام أنا سمعت كلام السحرة، وكلام الكهنة، وكلام الشعراء، هذا ليس بكلامهم، وقد بلغت بكلامك هذا قاموس البحر، قال الشراح: أي قعره من قوة الكلام، وجزالته وعمقه ودقته، والرجل فهم الكلام، ثم ماذا قال؟ قال: هات يدك أُبايعك على الإسلام، هو جاء يرقيه من الجنون، سمع أنه مجنون، ولما سمع كلامه وفهم كلامه في اللحظة نفسها قال: هات يدك أُبايعك على الإسلام؛ فبايعه على الإسلام.

قال: «**وعلى قومك؟**» قال: وعلى قومي، يعني أبايعك على الإسلام عني وعن قومي، فبايعه على الإسلام ورجع مسلمًا إلى قومه.

وفي صحيح مسلم في نفس السياق أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعث سرية وأمَّر عليهم أميرًا، ثم إنهم مروا على قومه، ولما تجاوزوهم سألهم القائد الأمير الذي على هذه السرية سألهم قال: هل أخذتم من هؤلاء أو غنمتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال أحدهم: إنني أخذت مطهرة، وجدت مطهرة فأخذتها، قال: أعيدوها فإن هؤلاء قوم ضماد؛ لأن ضماد أسلم وبايع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الإسلام عنه وعن قومه، والحديث في صحيح مسلم من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فلاحظ هُنا أثر هذه الكلمات المباركات حيث أدَّت إلى إسلام هذا الرجل وإسلام قومه، ونحن كثيرًا ما نسمع هذه الكلمة في الخُطب ونسمعها في المواعظ وفي الدروس، ولكن الأثر -أثرها على القلوب- ضعيف، والسبب عدم التأمل في المعاني، وعدم التأمل في الدلالات، وعدم الوقوف على معاني هذه الكلمة، وعدم أيضًا

تحقيق ما يدل عليه هذا الحمد، وهذا الثناء من الإخلاص والصدق، وحُسن الالتجاء، والاعتماد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المتن:

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما بعد: فإن من أفضل ما يتخلق به الإنسان وينطق به اللسان الإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتسبيحه، وتحميده، وتلاوة كتابه العظيم، والصلاة والسلام على رسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه-، مع الإكثار من دعاء الله -سبحانه- وسؤاله جميع الحاجات الدينية والدنيوية، والاستعانة به، والالتجاء إليه بإيمانٍ صادق وإخلاص وخضوع، وحضور قلب يستحضر به الذاكر والداعي عظمة الله، وقدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء، واستحقاقه للعبادة.

الشرح:

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أما بعد)**؛ وأما بعد هذه الكلمة يؤتى بها عند الشروع في بيان المقصود بعد الحمد والثناء والاستهلال بتعظيم الله جَلَّ وَعَلَا، والصلاة والسلام على رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يؤتى بهذه الكلمة: **(أما بعد)**؛ ومعناها: أي ومهما يكن من شيءٍ بعد، ثم يُشرع في المقصود.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن من أفضل ما يتخلق به الإنسان وينطق به اللسان الإكثار من ذكر الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**)**؛ أي أن ذكر الله جَلَّ وَعَلَا أفضل ما يتخلق به المُسلم، وأفضل ما يُشغل به اللسان، وأفضل ما تُصرف به الأوقات، وهو أزكى الأعمال وأحبها عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وسيأتي عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الأدلة العديدة على فضل الذكر وفضل شغل الأوقات به، وما يترتب على العناية به من الآثار المُباركة والثمار العظيمة على العبد في الدنيا والآخرة.

قال: **(الإكثار من ذكر الله)**؛ أي ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكثرة، وهُنا فيه التنبيه على أن المطلوب ليس مجرد الذكر، وإنما المطلوب هو الإكثار من ذكر الله، ولهذا جاءت نصوصٌ كثيرة سيأتي جُملة منها عند المصنف فيها: الأمر بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكثرة.

وسيأتي هناك الإشارة إلى كلام أهل العلم في متى يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات محققًا لهذا الأمر من الله عَزَّ وَجَلَّ ومن رسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أعني: الأمر بذكر الله بالكثرة في الصباح، وفي المساء،

وعند النوم، وأوقات الصلوات، وأدبار الصلوات، إلى غير ذلك من الأوقات التي جاء فيها الحث على الذكر والترغيب فيه.

قال: (**وتسبيحه، وتحميده**)؛ العطف هُنا في قوله: (**وتسبيحه، وتحميده**)؛ هو على قوله: (**ذكر الله**)، وهُنا العطف من عطف الخاص على العام؛ لأن التسبيح والتحميد إلى غيره مما ذكر المصنف كل ذلك من ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلما ذكر اللفظ العام ذكر تحته جُملةً من أفراده، وجُملةً من الأفراد الداخلة تحت عموم هذا اللفظ، فالتسبيح والتحميد وتلاوة القرآن كل ذلك من ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أما التسبيح فهو تنزيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتقديسه عمَّا لا يليق به سبحانه من النقائص والعيوب، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٨٠]؛ أي تنزه وتقَّدس، فتسبيح الله جَلَّ وَعَلَا هو تنزيهه.

وقوله: (**وتحميده**)؛ الحمد مرَّ معنا معناه وهو الثناء على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مع حبِّه سبحانه.

قال: (**وتلاوة كتابه العظيم**)؛ لأن تلاوة القرآن من جُملة الذكر لله جَلَّ وَعَلَا، بل هو أشرف الذكر وأفضله، أن يقرأ العبد كلام الله عَزَّ وَجَلَّ الذي هو ذكرٌ للعالمين، وهدايةٌ لهم، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٩].

قال: (**والصلاة والسلام على رسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه-**)؛ أي أن يُكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ومرَّ معنا أن هذا يتأكد عند ذكره -صلوات الله وسلامه عليه-، ويُندب أيضًا الإكثار من الصلاة والسلام عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، في ليلة الجُمعة ويومها، ولهذا جاء عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إني أُحب الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في كل وقت، ولكنه في ليلة الجمعة ويومها أحب إلي، أي للأحاديث الخاصة الواردة في ذلك عن النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

قال: (**مع الإكثار من دعاء الله سبحانه وسؤاله جميع الحاجات الدينية والدنيوية**)؛ وهذا فيه الكلام على الدعاء وفضيلته، وأنه مفتاح كل خيرٍ في الدنيا والآخرة، أن يعرض المُسلم حاجاته كلها على الله وطلباته جميعها على الله، فلا يسأل إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يطلب عونه ومدده وتوفيقه وصلاح أموره الدينية والدنيوية إلا من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الأمور كلها بيده، وأزمة الأمور بيده. وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ولهذا قال بعض أهل العلم: الدعاء مفتاح كل خيرٍ في الدنيا والآخرة؛ لأن الخير بيد الله، وصرف الشر بيد الله، فمن أراد لنفسه حصول الخير وصرف الشر فليطلب ذلك ممن هو بيده، يطلبه من الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا كان الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة.

قال: (**والاستعانة به**)؛ أي: طلب العون منه وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قضاء الحاجات والمصالح الدينية والدنيوية.

(**والالتجاء إليه**)؛ أن يكون ملتجئًا في أموره كلها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما كان نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللَّهمَّ إنِّي أسلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ**»، فالملجأ إلى الله، ولا ملجأ للعبد إلا إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (**بإيمان صادقٍ وإخلاص وخضوع**)؛ وهذه معاني لا بد منها في الذكر والدعاء، أن يصدر من العبد الذكر والدعاء عن صدقٍ وإخلاصٍ وخضوعٍ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بإيمان**)؛ أي: بإيمانٍ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يذكر الله ويدعوه مؤمنًا به، مؤمنًا بأنه الرب العظيم، الملك الجليل الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلا، وأنه المعبود بحقٍّ، ولا معبود بحقٍّ سواه، فيدعوا الله جَلَّ وَعَلَا ويذكره مؤمنًا به، وبصدقٍ؛ إيمان وصدق وإخلاص، لاحظ هُنا جمع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين الصدق والإخلاص.

يقول العلماء: الصدق توحيد الإرادة، والإخلاص توحيد المُراد، الصدق توحيد الإرادة، يعني جمع هِمَّتك وإرادتك ونشاطك وعزمك على الله وحده؛ بحيث ينشط العبد ويجد ويجتهد، ويُضاعف من جهده في الإتيان بالأعمال على التمام والكمال، كل ذلك من أمارات الصدق؛ توحيد الإرادة أن تكون إرادتك مجتمعة على تحقيق العمل وتتميمه، والإتيان به على أحسن حالٍ وأتم وجه. كل ذلك من أمارات الصدق وعلاماته.

والإخلاص توحيد المراد وهو الله جَلَّ وَعَلَا، أن لا تريد بعملك إلا الله، ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فلواحدٍ كُن واحدًا في واحدٍ"، أعني طريق الحق والإيمان، لاحظ هذه الكلمة الجميلة!

(**فلواحدٍ كُن واحدًا في واحدٍ**)، (**فلواحدٍ**)؛ هذا إشارة إلى الإخلاص، (**كُن واحدًا**)؛ إشارة إلى الصدق. (**في واحدٍ**)؛ إشارة إلى الاتباع يعني في طريقٍ واحد.

(**فلواحدٍ**)؛ أي وحِّد المراد لواحدٍ، وحد مرادك بأن لا تتجه في أعمالك إلا إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الذكر والدعاء وكل عبادة لا تتجه فيها إلا إلى الله، (**كن واحدًا**)؛ أي وحِّد إرادتك بصدقٍ وعزيمةٍ وحُسن إقبالٍ على الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ. (**في واحدٍ**)؛ أي في طريق واحد وهو طريق الحق والإيمان.

قال: (**بإيمان وصدق وإخلاص وخضوع**)؛ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أي أن تكون في ذكرك ودعاءك لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ خاضعًا أي متذللًا منكسرًا بين يدي الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ترجو رحمته، وتخاف عذابه.

قال: (**وحضور قلب يستحضر به الذاكر والداعي عظمة الله، وقدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء، واستحقاقه للعبادة**)؛ لاحظ هذه المعاني المهمة التي نفتقر إليها جدًا في دعواتنا وأذكارنا، أن يكون الإنسان في ذكره ودعائه لله حاضر القلب، أي أن يكون قلبه حاضرًا.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ مِنْ قَلْبٍ لاَهٍ**»، إذا كان القلب لاهٍ أي ليس حاضر، هذا ليس من أمارات الخير وليس من أسباب الإجابة.

فلابد من حضور القلب عند ذكرك لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولهذا قسَّم العلماء ذكر الله إلى ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: أن تذكر الله بلسانك وقلبك، يعني أن تجمع في ذكرك لله بين ذكره جَلَّوَعَلَا باللسان وذكره بالقلب، تُحرك لسانك وقلبك حاضر، يتأمل في المعاني. إذا قلت: سبحان الله بلسانك قلبك يُقدس الله، إذا قلت: الحمد لله بلسانك قلبك يُثني على الله ويحمد الله جَلَّوَعَلَا، ويعرف نعمه وآلائه وعظمته وجلاله وجماله، وإذا قلت بلسانك: لا إله إلا الله، قلبك يوحِّد الله ويُخلص له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإذا قلت: الله أكبر، قلبك يُعظِّم الله، وإذا قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، قلبك يطلب العون من الله؛ لأن (لا حول ولا قوة إلا بالله) كلمة استعانة، وهكذا إذا كان العبد يقول الأذكار بحضور قلبٍ.

والشيخ هنا رَحِمَهُٱللَّهُ وضح الطريقة المناسبة التي تُحضر فيها قلبك عندما تذكر الله، ما هي الطريقة؟

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وحضور قلب يستحضر به الذاكر والداعي عظمة الله، وقدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء، واستحقاقه للعبادة**)؛ هذه الأمور تحضرها في قلبك وأنت تذكر الله جَلَّوَعَلَا، تستحضر في قلبك أن الله على كل شيءٍ قدير، تستحضر في قلبك أن الله بكل شيءٍ عليم، أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصى كل شيءٍ عددًا،

ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه في مقام العبادة: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:٢١٨-٢١٩]؛ فإذا استحضر العبد رؤية الله له، وقدرته عليه، وعلمه به، واطلاعه على أعماله وعلى أحواله، واستحضر أيضًا أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المعبود بحق، ولا معبود بحقٍّ سواه، قام في القلب حينئذٍ الإخلاص الصدق، حُسن الالتجاء، حُسن الثقة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حُسن التوكل عليه والاعتماد عليه، إلى غير ذلك من الإيمانيات العظيمة والأصول المباركة التي يكون حضورها في القلب وتمكنها منه بمثل هذا الاستحضار المبارك لهذه المعاني الجليلة والمطالب المباركة.

المتن:

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ورد في فضل الذكر والدعاء والحث عليهما آيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نذكر ما تيسر منها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٤١-٤٣].

الشرح:

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المقدمة بين يدي ذكره لجملة من الأدلة، أدلة الكتاب العزيز، والسُّنة النبوية على فضل الذكر وعِظم شأنه عند الله، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد ورد في فضل الذكر والدعاء والحث عليهما آيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نذكر ما تيسر منها**)؛ أي أنه لا يعزم هنا على حصر وجمع كل ما ورد، وإنما سيذكر منها ما تيسر، أي قدرًا يسيرًا من الآيات والأحاديث الواردة في فضل الذكر والدعاء.

فبدأ أول ما بدأ بهذه الآية المباركة من سورة الأحزاب يقول الله تعالى فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٤١-٤٣]. ولاحظ هُنا! الأمر فيها بذكر الله بالكثرة، ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾؛ ففيها أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذكره بالكثرة، ثم ذكر بعد ذلك الثواب الذي يترتب على ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكثرة، الثواب الذي يترتب على ذكر العبد لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذكرًا كثيرًا.

فلاحظ هُنا! الأمر ليس بمجرد الذكر، وإنما هو أمرٌ بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكثرة، ولهذا جاء عند أهل العلم مسألة مُهمة في هذا الباب، ذكرها النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب **[الأذكار]**، وذكرها العلماء أيضًا في كتب التفسير عند هذه الآية وغيرها من الآيات، متى يكون العبد من الذاكرين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكثرة؟ متى يُحقق هذا الأمر؟

فذكر العلماء في هذا المقام: أن أقل ما يكون من ذلك أن يواظب المسلم على الأذكار المقيدة في أول النهار، وآخر النهار، وعند النوم، وفي الصلوات، وأدبار الصلوات، وعند دخول منزله، وعند خروجه منه، وعند تناوله من الطعام إلى غير ذلك من الأذكار التي بينها العلماء وجمعوها في كتب الأذكار، أو فيما يُسمى بـ (عمل اليوم والليلة)، مع أيضًا عناية في الأوقات الأخرى بتحريك لسانه بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، «**وَلَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطِبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**».

فإذا كان العبد بهذه الصفة يُحافظ على أذكار الصباح، وأذكار المساء، وأذكار النوم، وأذكار الصلوات، سواءً التي في الصلاة أو بعدها، والأذكار المتعلقة بالأحوال المعينة التي يُمارسها العبد عندما يركب دابته، أو عندما يتناول طعامه، أو عندما... إلى آخره مما جاء في السنة.

فإذا كان مواظبًا على ذلك ويجتهد أيضًا في الأوقات الأخرى على تحريك لسانه بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويُحضر قلبه في هذه على قدر ما يتيسر له وما يستطيع، بهذا يكون من الذاكرين الله جَلَّ وَعَلَا كثيرًا.

وهذه يعني مثل ما قال العلماء: أقل ما يكون حتى يكون العبد من أهل هذا الوصف العظيم المبارك، فهُنا لاحظ الأمر، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾؛ وسيمر عليك آيات كثيرة فيها الأمر بذكره تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالكثرة.

قال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ وهذا فيه التنبيه وسيأتي عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جُملة من الأدلة فيها التأكيد والتنويه بالعناية بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في طرفي النهار، بعد صلاة الصبح وفي العشي قبل غروب الشمس، فهذان وقتان فاضلان جاء في نصوصٍ كثيرة الترغيب من العناية بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيهما، وسيأتي عند المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جُملةً من النصوص في ذلك.

ثم ذكر ثمرة ذكر الله جَلَّ وَعَلَا بالكثرة. قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ صلاة الله على عباده ثناؤه عليهم بالملإ الأعلى، وهذه ثمرة من ثمار عناية المسلم بذكر الله، إذا ذكر

المسلم ربه ذكرًا كثيرًا ذكره الله تعالى في الملإ الأعلى، وسيأتي معنا قول الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٥٢]، وفي الحديث يقول الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»، فهذه ثمرة عظيمة من ثمار الذكر أن يُصلي الله جَلَّوَعَلَا عليك أي أن يذكرك في الملإ الأعلى.

وأن تُصلي عليك الملائكة، صلاة الملائكة على المؤمنين أي دعاؤهم لهم بالخير، بالمغفرة، بالرحمة.

قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ وهذه أيضًا من ثمرات الذكر العظيم المباركة، سبب مبارك لخروج العبد من الظلمات إلى النور، وسببٌ عظيمٌ في رفعته، وعلو درجته عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾؛ وهذه رحمة الله جَلَّوَعَلَا الخاصة، ومن خواص أهلها الذاكرين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ والذاكرات، كما يدل عليه ويُرشد إليه ختم هذا السياق المبارك بذلك، يدل على أن العناية بذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بالكثرة من أعظم الأسباب لنيل رحمة الله الخاصة التي خصَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بها عباده المؤمنين.

المتن:

وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٥٢].

الشرح:

وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٥٢]؛ هذه ثمرة من ثمار ذكر الله إذا ذكرت الله عَزَّوَجَلَّ ذكرك الله، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾؛ [**الجزاء من جنس العمل**]؛ وهذه قاعدة من قواعد الشريعة: [**الجزاء من جنس العمل**]. ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [سورة يونس، من الآية:٢٦]، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن، من الآية:٦٠]؛ فمن ذكر الله ذكره الله، انظر هذه الثمرة العظيمة: إذا ذكرت الله وحركت قلبك ولسانك بذكر الله بالكثرة، ذكرك الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾. يذكرك عند مَن؟ يذكرك عند الملإ الأعلى، الملائكة الكرام الأطهار البررة.

ولهذا جاء في صحيح مسلم من حديث معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونحن حلقةٌ في المسجد جُلوسٌ نتذاكر، فقال: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**»، يعني: لأي شيءٍ جلستم؟، قالوا: جلسنا نذكر الإسلام وما منَّ الله علينا به، يعني يتحدثون بنعمة الله عليهم بالإسلام والهداية فهم مشتغلون بذكر الله وتذاكر منة الله عليهم بالإسلام، فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟**»، يستحلفهم بالله، «**آلله مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟**»؛ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «**أَما وَاللهِ إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لَكُم**»، يعني لم أطلب منكم الحلف لأني أتهمكم، لكن الأمر عظيم، قال: «**أَما وَاللهِ إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لَكُم، وَلَكِن أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفًا فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ مَلَائِكَتَهُ**»، هذا خبر يعني جاء على الفور وهم في المسجد جالسون يتذاكرون، فجاءه جبريل وأخبر قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ يُباهي ملائكته بهؤلاء النفر الذين هم جلوسٌ في المسجد، فأتى إليهم واستحلفهم بالله: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**»، فقالوا: والله ما جلسنا إلا... إلى آخر الحديث. فانظر هذه الفضيلة العظيمة لذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وهُنا ينبغي أن يُعلم أمرًا يغفل عنه كثير من الناس، ألا وهو أن مجالس العلم التي يُبين فيها الحلال والحرام، وتُوضح فيها الأحكام، ويُشرح فيها مسائل العلم، وتُفسر فيها آيات القرآن، وتُبين فيها أحاديث الرسول الكريم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ هذه من مجالس الذكر، بل إن نفعها من أعظم ما يكون.

ولهذا يذكرون أن أحد السلف رَحِمَهُٱللَّهُ كان في مجلس يُعلِّم الناس ويُفقههم في الدين، ويُبين لهم مسائل الحلال والحرام، فكان أحد الشباب جالس في المجلس قال: يا قوم سبحوا الله، اذكروا الله، سبحوا -وكان في المجلس العالم يعلمهم ويفقههم-، فقاطع هذا وقال: سبحوا الله، قالوا: ونحن من اليوم ماذا كُنا نفعل؟ فمجالس العلم ومجالس الحلال والحرام والأحكام كثير من الناس يخفى عليه أنها من أعظم مجالس الذكر وأنفعها للعبد؛ فهي مجالسٌ لذكر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وانظر الأثر المبارك لمثل هذه المجالس في حديث معاوية الذي تقدَّمت الإشارة إليه.

وأسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يمنَّ علينا بالعلم النافع والعمل الصالح إنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ سميعٌ مجيب.